نظرية الحقول الدلالية في قصيدة مآتم وأعراس لعبد الله البردوني .

Title of the article, Theory of semantic fields in the poem of funerals and weddings of Abdullah al-Baradouni

نبيل بومصران استاذ مساعد قسم أ.

المركز الجامعي ميلة

البريد الإلكتروني: boumesranen21@gmail.com

رقم الهاتف: 0664000075

مُلخص البحث

مآتم وأعراس لعبد الله البردوني قد تزركشت بمجموعة من الحقول الدلالية من بينها حقل الإنسان، حقل الطبيعة وحقل المعاناة .....أضفت عليها لمسة فنية ساحرة عكست لنا حسن التصوير وجودة الوصف بتركيب لغوي بارع ،وانسجام واتساق رائع يدل على مدى طواعية اللغة في يد الشاعر ،فكانت هذه الحقول تتراقص على خشبة القصيدة مشكلة مشاهد رمزية في قوالب لغوية تتعدد دلالاتها وتختلف تفسيراتها بحسب حضورها وغيابها وانزياحها داخل مسرح القصيدة

الكلمات المفتاحية:الدلالة؛ الحقول؛ القصيدة؛ الانسان؛ الوصف.

Summary:
The poem of funerals and weddings of Abdullah al-Baradouni has been decorated with a group of semantic fields, including the field of man, the field of nature and the field of suffering ..... In the hands of the poet, these fields were dancing on the stage of the poem, symbolic scenes in the templates of linguistic multiple indications and different interpretations according to their presence and absence and displacement within the theater of the poem

Keywords: semantics, fields, poem, human, description.

مقدمة:

اللغة ظاهرة اجتماعية، وخاصية إنسانية تحمل بين طياتها العديد من التقاطعات والالتقاءات المعرفية، واللغة الإنسانية هي في حقيقتها ربط الأصوات بالمعاني، والدوال بالمدلولات ،ويتحقق ذلك بفعل الاصطلاح والتواضع ،وكل في ظل التواصل والإبلاغ بين أفراد المجتمع اللغوي، مما يجعل اللغة وسيلة للتواصل بكل أبعادها ،ونظاما من العلامات الدالة ،وتتفاعل في هذه العملية المعقدة العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية وغيرها .

تنأى لغة الشعر عن السطحية ؛إذ تشكل سعيا حثيثا وراء المطلق واللامتناهي، ومحاولة الإمساك بخيوطه الأولى ، بشحن للمفردات ورسم للصورة، واستدعاء للأسطورة وتكثيف للدلالات ضمن نسق معين يعبر عن خلجات النفس ومشاعرها وعوالمها الباطنية، ملفوفة بغموض يكتنف لحظة التلاقي والانكشاف ، فاسحة المجال أمام الباحث العلمي للغوص فيها والبحث عن دلالاتها ،فينقلها من محيطها القاموسي الجامد إلى وسط حيوي ،أي انه يمنح لها- إلى جانب دلالاتها المعجمية –دلالات أخرى ،مما يضفي عليها أبعادا فنية ودلالية أكثر غنى وأبعد أفقا ،وأشد عمقا إذ ((النص الشعري هو الفضاء الذي تعوم فيه دلالة اللفظ، ويضيع فيه المعنى بما يعنيه من توحد لصالح التعدد والتنوع والغموض))[1].

و ((هذا هو النص الأدبي، وعلى هذا تصبح قيمته فيما تحدثه إشاراته من اثر في نفس الملتقي ،وليس فيما تحمله الكلمات من معان مجتلبة من تجارب سابقة أو دلالات مستعارة من المعاجم)) . [2]

وقد تنزاح اللغة عن وظيفتها التواصلية المحضة إلى أداة مجسدة للفن والجمال، فتدرس في تلك اللحظة الوظائف الأدبية التي تؤديها ،وإذا شغلت الدلالة الصريحة اللسانيين ، وغيرهم فإن الدلالة الإيحائية قد كانت محط اهتمام النقاد ودارسي الأدب .

1-الدلالة في اللغة والاصطلاح :

الدلالة :في اللغة مشتقة من الفعل (دل) بمعنى : أرشد و سدد ووجه ، جاء في قوله عز وجل : ((هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم)) [3] . وهي في هذا المعنى أو الصدد لا تزيد ولاتخرج عن إبانة الشيء و إيضاحه .

وهي أيضا لا تخرج عن هذه المعاني سالفة الذكر في المعاجم العربية كلسان العرب لابن منظور وتاج العروس .

أما العلم الذي درس (الدلالة) ونشأ من محاولة استيعاب قضاياها فهو (علم الدلالة) (sémantique)،الذي يعود تاريخ نشأته إلى أواخر القرن التاسع عشر، حيث ظهر المصطلح الدال عليه في مقال قدمه" ميشال بريال" (M.BREAL) سنة 1883 م ،وغيرها من التعاريف حول هذا العلم سواء أكانت قديمة أو حديثة ،ورغم تباين تعار يف هذا العلم عند الدارسين المحدثين فإنها لم تخرج جميعا عن فكرة (دراسة المعنى)، فعلم الدلالة في بعده اللساني هو : ((فرع من علم اللغة يدرس العلاقة بين اللغوي ومعناه ،ويدرس تطور معاني الكلمات التاريخية ، وتنوع المعاني والمجاز اللغوي والعلاقات بين كلمات اللغة))[4].

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن موضوع علم الدلالة :هو العلامات ,والرموز الحاملة للمعنى، لغوية كانت أم غير لغوية مع التركيز على اللغة بعدها نظاما من الرموز ذات أهمية خاصة، وقد عُرفت اللغة بأنها نظام من الرموز الصوتية الإصلاحية .

إن أي دراسة للغة عموما ،ولأي نص أدبي خصوصا ،لا بد أن تسعى إلى الوقوف على الدلالة التي هي قصد المتكلم وهم المحلل الأسلوبي بدءا من البنية الصوتية ووصولا إلى البنية المعجمية وما يرافقها من ظروف ومصاحبات المقام ،ويؤكد هذا "أحمد مختار عمر" في قوله :((إن النشاط الكلامي ذا الدلالة الكاملة ،لا يتكون من مفردات فحسب وإنما من أحداث كلامية أو امتدادات نطقية تكون جملا تتحدد معالمها سكتات أو وقفات ، أو نحو ذلك))[5] .

وقد شغل موضوع الدلالة أذهان اللسانين والباحثين في شتى مجالات العلوم الإنسانية سواء قديما أو حديثا ويمكن أن يخص موضوعات الدراسة الدلالية الحديثة في المحاور التالية : دراسة المعنى ، الحقوق الدلالية ، السياق ، وأنواع

المعنى وتحليله، ونحن هنا نركز على الحقول الدلالية التي هي جوهر فصل من بحثنا وإحدى المفاتيح الفاتحة لشفرات مقصدية الشاعر .

2- بنية الحقول الدلالية في القصيدة :

أ- مفهوم الحقول الدلالية : ((LESCHAMPS SEMANTIQUE))

((هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها ،وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها, مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية ، فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظا مثل " أحمر – أزرق –اصفر –اخضر – ابيض ...الخ)).

و تنحو نظرية الحقول الدلالية إلى انه من اجل معرفة معنى كلمة يجب أن تعرف مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا وخيوط النسج والربط بينهما ، وهي تهدف أيضا إلى إيجاد حلول لمشكلات لغوية مستعصية عن المحلل أو القارئ ((إن نظرية الحقول الدلالية ،قد أسهمت بشكل بارز في إيجاد حلول لمشكلات لغوية كانت تعتبر إلى زمن قريب –مستعصية – وتتسم بالتعقيد ومن جملة تلك الحلول الكشف عن الفجوة المعجمية التي توجد داخل الحقل الدلالي ، وتسمى هذه بالفجوة المعجمية))[6] .

كما أنه أيضا يستحيل دراسة المفردات ومعرفة دلالاتها مستقلة عن تركيبها النحوي وسياقها الذي ترد فيه .

والحقول الدلالية تعتبر الذرة المشعة والمزيحة للستار عن تلك اللغة التي يستخدمها الشاعر في نصه ، يتجاوز الألفاظ ، وانسجامها ، وتناسقها وتباينها ،وذلك وفق بناء أسلوبي محكم ، ومرصع ناقل لتجربة الشاعر وما يدعو إليه وما يريد الوصول له .

3-الحقول الدلالية في القصيدة ووظائفها الأسلوبية :

إن قصيدة (مآتم وأعراس) زاخرة بألفاظها المتنوعة تماما كما هي ثرية في إيقاعها وفي تراكيبها المختلفة وهي قبل كل شيء تعكس وتكشف عن تجارب متجانسة تمتلك معالم الوحدة والتماسك ، وتنهض هذه اللبنة على ما

في شعره من قيم دلالية تتصل بمناخ واحد ،من غير أن تتعداه أو تغادره إلى مناخ آخر ،وهي تحيل أيضا على ثقافة الشاعر وفكره ورؤاه الوجودية وخلجاتها النفسية ،وتحمل الكثير من بيئة الشاعر وثقافة عصره ، وانشغالات معاصرة ،فهي سراج وهاج بالدلالات والأبعاد الفنية والفكرية وبمجرد أن ندخل عالم البرد وني في قصيدته هذه –مآتم وأعراس –وبإطلالة خفيفة على دلالة ألفاظها يجد القارئ أو المحلل الأسلوبي يتخبط بين ثلاثة جدران أو أكثر أو أقل أو بالأحرى حقول دلالية قد وظفها الشاعر في قصيدته وبنى ركيزتها عليها وقد تبين بعد القراءة الإحصائية، أن القصيدة من حيث عدد ونوع مفرداتها وهي حسب كثافة ألفاظها ، بهذا الترتيب :

أولا : حقل الإنسان وما يتعلق به : ويضم الحقول الدلالية الجزئية التالية :

1-حقل الإنسان وما يرتبط به.

2-حقل صفات الإنسان .

ثانيا :حقل الطبيعة : ويضم بداخله حقل الجماد وحقل الحيوان .

ثالثا :حقل المأساة .

وغيرها من الحقول الدلالية التي تبقى بدرجة إحصائية اقل من السالفة الذكر، والتي طغت على القصيدة بشكل ملفت للانتباه ومحفز على الدراسة .

وندرس فيما يلي ألفاظ كل حقل دلالي ومفرداته على أساس أن الحقل هو عبارة عن نسق من العناصر والعلاقات القائمة بينهما ، وينتج عنها مجموعة من الوظائف الأسلوبية التي يؤديها كل حقل دلالي بمعية مفرداته والذي يبرز لنا شاعرية الشاعر ، وقدرته على تطويع اللغة والحقل لا بد أن ((يكون منتقا من كلمات يرى الدارس أنها مفاتيح النص أو محورها الذي يدور حولها)) [7]

أولا: حقل الإنسان وما يتعلق به :

يعد هذا الحقل أهم الحقول جميعا وأبرزها وقد حظي ، مقارنة بالحقول الأخرى بأكبر عدد من المفردات حيث تجاوزت الخمسين مفردة ، ومن هنا

يتضح لنا أن البر دوني كان يتمتع بالشكل اللغوي الراقي ،استطاع أن يجعل لألفاظه وكلماته مستوطنا تقطن فيه الدلالات العميقة والمستورة ، المتحللة في عضوية و أغوار القصيدة ، فشكل هذا الحقل ركيزة أساسية البنى عليها ركح القصيدة ، ومن هنا يبدو لنا حجم حضور الإنسان في قصيدة (مآتم وأعراس)، فهي قصيدة تتحدث عن الإنسان وما يقوم به من أعمال وما يخلفه من دمار وفساد ـ وتكشف هذه الصفات والأعمال في القصيدة من خلال الحقول الدلالية الجزئية التالية :

أ-حقل أسماء الإنسان وما يرتبط به :

إن الحقل يحمل في طياته طاقة محسوسة ،ملموسة لا بد من تذوقها ، والتعرف على مضامينها ،وكشف الستار عن دلالاتها ، فالهالة الروحية المكثفة في هذا النص تبرز لنا مدى شعرية هذا الحقل وحضوره الفعال داخل القصيدة وقيمة ألفاظه المشكلة له فالإنسان بأسمائه وأعضائه حاضر من خلال هذا الحقل الدلالي الجزئي ، ويحتل مساحة واسعة داخل القصيدة،وهذه الأسماء وما يرتبط بها ، وظهورها في سياقاتها المختلفة تحمل في ظلالها الأسلوبية كثيرا من الدلالات ، وقبل الخوض في هذه الأخيرة وسنحاول البحث عن الألفاظ المشكلة لهذا الحقل الدلالي من خلال الجدول الموالي :

الكلمـة	عدد توارثها	رقم الأبيات التي وردت فيها
اليد	5	43-24-3
الحلم		5
الخطى	2	65-8
الوجوه	2	64-9
الدم،الجثث		15-9
الرفات	2	25-15

الرأس، الخلايا،الأفكار،الرجال العمائم،الدقون،العيون،القلب المرء،عاد،هاشم،سعود،حسينا قس،مادر،حاتم		53-16 25-17-16 70-47-27-26 89-87-83-81-78 36-36-36

إن هذه المفردات المتعلقة بالإنسان وصفاته وأسمائه هي مقطع دلالي ضمن مسلسل الدلالة العامة للقصيدة ،ومن خلال هذه المقاطع الجزئية يمكن أن نغوص في أعماق القصيدة ونصل إلى قصيدة الشاعر والتعرف على ما يكتنفه بداخله ، فالشاعر عندما يستعمل هذه الأسماء والصفات وما يتعلق بها يضيف إليها ضمير الجمع فهو لا يتكلم بمفرده وإنما يتحدث عن الإنسان بالجمع فهو يقول في البيت الثامن :

8-وخطانا دم تجمد في الأشواك جمرا وفي الصخور مياسم .[8]

فالشاعر عبد الله البرد وني في هذا البيت وهو يتحدث بلغته الشعرية يقول (خطانا) بضمير الجمع وهذا يجعل القارئ أمام العديد من التأويلات والتخريجات الدلالية ، فهو يتحدث باسم الجماعة لا باسمه الخاص ، مما يعكس لنا اتحاد الشعب وتضامنه ووقوفه تحت غطاء الكلمة الواحدة ،مما يولد قوة في الرأي ووجهة النظر ،كما أن الشاعر هنا أيضا يوضح لنا حجم المعاناة التي وصل إليها الشعب برمته وليس فردا واحدا فقط ،فالحالة العامة للناس أصابها الشلل ووصفها بالدم الجامد في الأشواك وهنا يضعنا –حسب رأي :في قراءتين، فالدم من خلال جموده يمكن أن يعكس لنا لونا قاتما ،شكل لنا صورة حقيقية عن قيمة المأساة ذلك أن ((دوال اللون –غالبا –تؤثر تأثيرا بالغا في خلق فضاء شعري يوازي النص القائم بالفعل،إذ هي تحيل بالضرورة على مدلولات غائبة عن النص،وهذه الإحالة تقتضي التحرك في الفضاء النصي للبحث عنها)).[9]

والقراءة الأخرى هي وجود الدم في الأشواك يعني أن حركة الإنسان وطريقه كان محفوفا بالمخاطر ،مما يؤكد تعاسة حياة الشعب بأكمله.

كما أن الشاعر عند ذكر أعضاء الإنسان ركز على الأعضاء المهمة في الجسم ليقوم بتوصيل الفكر والمبتغى في قالب دلالي كامل فقد أورد مجموعة المفردات الدالة عليها (القلب ،العيون ، الذقون ،الحنجرات, الدم ،الرأس ،تفر ،الفكر ...) فهي أعضاء أكثر قوة في حضور المعجم الشعري للشاعر ،لأنها تعتبر أدوات الإنسان في الشعور والنظر والتأمل والفكر والإحساس ،ففيها ما يفيد ويرفع من إنسانية الإنسان أو فيما يضر وينتقص من إنسانيته ،ومنها ما يعتبر من الأدوات الضرورية في عيشه وتلبية حاجاته المختلفة .

فالشاعر عندما يتحدث عن الشعور الذي ينتابه والهموم الكثيرة التي يعاني منها نجده يقول في البيت السبعين:

70-ونسينا في غمره البشر...عهدا اسود القلب احمر السيف قاتم [10]

فالقلب وسواده يعكس لنا حيرة عبد الله البر دوني وشعبه جراء ((توثر دائم بين الأوضاع المستنبة والمستحدثات المستجدة))[11]، فلكثرة الهموم التي عاشها الشاعر جعلت قلبه وهو مرآة عاكسة للشعب بأكمله باعتباره أحد العينات الحاملة لتلك المشاكل،فهذا السراج الوهاج لشعبه والصورة الحقيقية لأمته ووطنه .

وغيرها من الكلمات الأخرى الحاملة لمجموعة من الدوال السالفة الذكر المشكلة لصرح القصيدة وجمالية أسلوب الشاعر،وصوره الفنية الراقية ومدلولاته المعبرة

ب -حقل صفات الإنسان :

يشكل هذا الحقل معجما من الألفاظ الدالة على صفات الإنسان لوحة فنية شعرية رائعة ملونة ببعض ألوان صفات الإنسان .ولعل هذه الصفات مجتمعة ومبينة في الجدول الموالي :

الكلمـة	عدد توارثها	رقم الأبيات التي وردت

		فيها
نادم		2
ظالم		4
جاثم		6
حاقد		7
لوائم		12
مدمن		
خادم		14
قزم،قاعد،قائم		18
صبي،عجوز،نائم		21-21-21
لصوص		22-22-22
صغار،كبار		37-26
صم،أغبياء		26-26
أكارم		37-27
رخاص،عالم،هادم		37
سارق،عريان		79-78-38
غاشم،طاغ		86-86
		90-87

المتأمل لهذه القائمة من الأوصاف ، يلمس فيها عدة ظواهر جمالية وأسلوبية، يستخدمها عبد الله البر دوني في شعره من صفات مضادة لبعضها البعض أو نقيضها كما تحمل هذه الأوصاف إظهار جانب سلبي من خصال المستعمر والحاكم المستبد ، والقصيدة بأكملها تسير في هذا الاتجاه ،حيث تكشف عن صفات المستعمر والحاكم والشعب ،وهذه الصفات بمثابة السراج الوهاج الذي يكشف المستور ويظهر المغمور والمحظور ، وهي في قول الشاعر في البيت الثاني والعشرين .

22-وصبي الشدود وهو عجوز نصفه ميت....و باقيه....نائم. [12]

فهي صورة واضحة عن الحكم والحاكم فهو غير قادر عن المسؤولية الملقاة على عاتقه فقد أصبح عجوز ،وهو الشيخ الطاعن في السن الذي لا يقوى على الحركة ، كما انه أيضا يوضح لنا الصورة الحقيقية له وهي الشكل الجزئي من جسمه ،وحتى المتبقي فهو نائم لا يعلم عن الوضع أي شيء .

ج-حقل الطبيعة :

شكلت الطبيعة في قصيدة مآتم وأعراس لعبد الله البر دوني مسرحا تعرض فيه أحداثه ووقائعه ، وتصف همومه وهموم وطنه وشعبه وما عاشه من أحزان وجرائم ،وفيها أيضا يتطلع إلى غد أفضل .

لذا يجدر بنا أن نقف عند أطوار هذا الحقل الذي لا ينقص شانا عن الحقل السابق ، باعتباره مفتاحا من مفاتيح القصيدة ،التي هي بمثابة قصة تحكي لنا ما جرى للشاعر ووطنه من أحداث وصعاب, وجرائم, واستبداد, واستبعاد ...الخ .

كما يحمل حقل الطبيعة في طياته الكثير من الإيحاءات و الإيماءات ،هذه الأخيرة في تجمعها تصبح عبارة عن محاكاة للمشهد الحقيقي الذي يصوره الشاعر،والملاحظ أيضا على هذا الحقل ، هو أيضا هيمنة الألفاظ الدالة على الحيوانات نوع ما، وعلى اعتبار أن الطبيعة هي مرتعها وموطنها ومسكنها،ارتأينا أن تكون تحت غطاء واحد وهو حقل الطبيعية وهذا ما جعل هذا الحقل يحمل معاني قوية معبرة ، إذ تعد صوره صورة عاكسة لرؤى الشاعر للعالم المحيط به سلبا أو إيجابا وألفاظ هذا الحقل تحمل أبعاد دلالية

بعيدة خاصة عن لي عنقها,من خلال السياق((ومما يزيد دلالة اللفظة ضبطا ،بالاستعانة بالسياق العام في القصيدة التي يدرج فيها)) [13]

يجمع هذا الحقل مجموعة من المفردات المحصاة من كلمات القصيدة وأجزائها فهي :

الكلمـة	عدد توارثها	رقم الأبيات التي وردت فيها
الأشواك،الصخور،		8-8
الرياح ، الثلوج،		9-9
ذئاب،	2	30-16
كهف،		17
غابة، ضياغم،		19-17
أفاعي،		31
حمائم ، بهائم		32-31
العفاريت، رعد		43-41
الخيول،الغيوم		49-44
الصدى، النهار		54-49
الليل	2	64-54
أفق، الخريف، الربيع، الصيف		58-58-58-55
الشمس ،الضراغم،		71-66

ذباب، الافيال، السماء، النار		89-85-53-73

ونلاحظ في مفردات هذا الحقل رغم دلالاته السلبية والتشاؤمية ، ألا أنها لا تخلو من نفخ ريح التفاؤل في روح الإنسان ،وتفك عنه قيود التشاؤم ، وقيود الكآبة التي تثقله وتتعب مهمته وتنقص عزيمته فهو يقول في هذا الصدد في البيت الثامن والخمسين :

58-وارتعاش الخريف دفء الربيع وصيف داني العناقيد دائم .[14]

فالربيع هو زمن الاخضرار والأزهار والحيوية والنشاط والصيف هو زمن الخيرات المتعددة والمتنوعة ،هذا ما جعل الشاعر يستعمل هذه الفصول للتطلع إلى مستقبل زاهر وغد أفضل من خلال تلك الطاقات الدلالية لذلك الفصلين .

د-حقل المأساة والمعاناة:

يظهر هذا الحقل أقل حجما من الحقلين السابقين من خلال عملية إحصائية لمفردات كل حقل وبنية هذا الحقل قليلة المفردات لأن القصيدة بأكملها هي معبرة عن الحالة المزرية والاضطهاد والاستبداد ،ويختزل الجدول الموالي مفردات هذا الحقل :

الكلمة	عدد توارثها	رقم الأبيات التي وردت فيها
الجرائم،الضياع		1
مآتم	5	56-33-1
أنين	2	57-2
سيف،سكاكين		4

ألما، القبور		7-5
جمرا،الجراح		11-8
المآسي،شرا		
انفجار؛اللهيب		33-28
حريق		49-49
الدخان،النار	2	52
السيف،الحرب		54-54
		88-70

ويتضح لنا من خلال هذه الألفاظ دلالة أسلوبية مهمة فالشاعر يحيا بكل جوارحه أوقاته وأوقات شعبه تحت أسوار المأساة والمعاناة من المستعمر والحاكم الطاهد ،فهو يرصد لنا المواجع ولا تمر عليه لحظة من زمن دون معاناة ،مما يجعل دفقاته الشعورية موحية ومعبرة عن حجم المأساة فتأثر في نفسية المتلقي من خلال العرض المباشر لها ((وهذه قيمة تعبيرية تقدم للمستمع أو القارئ ما يفتح أبواب التفاعل مع الموقف أو المشهد أو ذاك الانفعال المحيط بشخصية ذات دور خاص)). [15]

ومن بين الأبيات الحاملة لهذه الصورة المأساوية للشاعر ووطنه نجد قول في البيت الأول .

1 -كيف كنا يا ذكريات الجرائم مأتما في الضياع يتلو مآتم [16].

فالشاعر هنا لا يتساءل عن الجرائم وإنما حاول أن يستحضرها لأنه يعلم بها وعانى منها فأتت بصيغة الجمع للدلالة عن كثرتها وغيرها من الجرائم

الأخرى والمآسي العالقة التي عانى منها وفي الأخير فإن الحقول هي حلة شعرية تفنن الشاعر في زخر فتها وحوكها فنيا وجماليا وأسلوبيا .

4-الرمز و وظيفته الأسلوبية:

تعتبر دراسة الرمز اللغوي في النص الأدبي عامة والشعري خاصة ،من أهم الدراسات التي تجعل منه بنية فعالة في دلالة النص بأكمله حتى أصبح أحد أهم الخصائص الشعرية لدى الشاعر سواء كان هذا الرمز كلمة ،أو عبارة ،أو شخصية،أو غير ذلك .والرمز أو العلامة اللسانية في تواليها الخطي وعلى المستويين التركيبي والترابطي الإيمائي تشكل جانبا تعبيريا في كل نص ، وميدانا خصبا صالحا للدراسة الأسلوبية الدلالية ،لأنه يبين ويعكس لنا الدلالة الخفية للنص وأفكار ورؤى صاحبه ، وذلك لان الشاعر يرى أحيانا اللغة عاجزة عن إيصال مبتغاه إلى القارئ ،مما يضفي عليها .طاقة تعبيرية كبيرة ، ويفتح النص على العديد من القراءات والتأويلات مما يجسد مساحة دلالية متفتحة وعلى قدر كبير من التمدد والغوص في البنية العميقة لدلائلية النص وهذا ما جعل <<الرمز يرتبط بالدلالة ارتباطا وثيقا، إذ إن الرمز يتخذ من قيمته مما يدل عليه ويوحي به >> [17]

والرمز أيضا يصبغ النص بصبغة مميزة عما سواه من النصوص ،فيجعله صورة غير مألوفة ،ونمطية تعبير مغايره فيحقق لنا ما يسمى بالأدبية أو الشعرية، ولعل هذا هو انجراف في اللغة أو عدول عن الاستعمال المألوف يجعلنا نقول : إن السياق الأسلوبي هو نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع ، وان التقابل الذي ينتج عن هذا الاقتحام هو المثير الأسلوبي .>> [18]

وشعرية النص أو أدبيته هي سمات أسلوبية ، وكل الملامح التعبيرية في النص الأدبي تجسدها الحياكة الفنية والجمالية التي ترجع إلى مجموعة من العوامل المتضامنة فيما بينها لتنتج لنا ما يسمى بالشعر الذي هو : <<حقيقة مستترة ،عميقة إيحائية ، لا سبيل إلى التعبير عنها بمدلول الكلمات، بل بعناصر الشعر الخالصة غير المقصورة على جرس الكلمات ،ورنين القافية وإيقاع التعبير وموسيقى الوزن ....>>[19]

وللرمز حضوره المتميز والفعال في بنية النص الشعري في قصيدة –مآتم وأعراس –لعبد الله البر دوني ، حيث تزدحم الرموز في إشكالها المختلفة من خلال مختلف .

الأدوات والإيحاءات الممتدة في مدارات متنوعة تمكنه من السمو بالنص الشعري لتكون القصيدة مفتوحة على تعددية القراءة والتأويل ، كما تدفع بالقارئ إلى الرجوع أغلى كتب التاريخ والتراث وتفرض عليه التأمل في النص والتراث من اجل رصد الأبعاد الحوارية بينهما .

فالشاعر عبد الله البر دوني ، من بين الشعراء الذين استفادوا من التوظيف الرمزي في التعبير عن الأفكار والعواطف وما يختلج بداخله فصار هذا النمط التعبيري مستساغا من طرف الشعراء والأدباء بفعل المتعاليات النصانية .

لقد كان التوظيف المتنوع لرمز اثر بالغ في جماليات أسلوب الشاعر وبعده الدلالي مما يفتح لنا بابا لتساؤل عن صور الرمز التي وظفها الشاعر في قصيدته هذه فما هي هذه الصور ؟.

إن استخدام الشاعر للرمز استدعته تجربته الشعورية لان " الرمز مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية والتي يعانيها الشاعر والتي تمنح الأشياء مغزى خاصا " [20]، وهذا الكم من الرموز يحفز القارئ عل الغوص في أعماق القصيدة معتمدا على الحدس والكلمات المفاتيح في تحليل هذه الرموز ومعرفة مضامينها .

ومن اجل تباين هذا النمط التعبيري نقف على إحدى صوره في القصيدة فعبد الله البر دوني يقول في البيت السادس والسابع والعشرين من قصيدته مآتم وأعراس:

ولصوصا كأنهم قوم يأجوج صغار النهى كبار العمائم

وطوال الذقون شعثا كاهل الكهف بل الكهوف صم أعاجم [21]

الرمز حاضر في هذين البيتين في { يأجوج ، أهل الكهف } وهذه الأخيرة مرتبطة بتلك القصة المشهورة في التراث العربي الغابرة في الزمن وقوم

يأجوج المذكوران في صورة الكهف من النص القرآني فهو زمن ديني معروف لدى العربي .

أن آهل الكهف وقوم يأجوج في هذين البيتين يعكسان صورة رمزية عن الاستعمار وصوره المختلفة فهما يفتحان لنا مشهدا من مشاهد ما فعله المستعمر للشاعر وأهله و وطنه فالبعد الدلالي لقوم يأجوج ومأجوج في الخراب والدمار الذي ألحقوه بقومهم وأهل الكهف هي صورة عن سبات الشعب ونومهم العميق وعدم إحساسهم واللامبالاة التي يعيشونها وجماد أفكارهم وعجزهم وقتل روح العزيمة كما ينبض النص أيضا بتوظيف رمز الأخر مستمدا من التراث العربي . هذا يعكس لنا ثقافة الشاعر ومعرفته بتراثه وكل كبيرة وصغيرة عن الزمن القديم واطلاعه على الدين الإسلامي وما جاء به من قصص ومن بين الرموز الموظفة أيضا ما عرف عن حياة العرب في الجاهلية وخصالهم من جود وكرم والتي تعد منبعا خصبا من خيال الشعري ليما يحتويه من مضامين جديدة { يثري العمل الأدبي ويثري عليه دما جديدا يعكس النظرة الإنسانية للحياة بكل تناقضاتها الحادة }[22] .

فنجد الشاعر يقول في البيت السادس والثلاثين :

36-وينيلون بقلا ثغر قس ويعيرون مادرا جود حاتم[23].

فيتردد ذكر حاتم ومادر ليكونا رمزا موازيا يمثل عمق التجربة الشعرية المستمدة من وعي الشعر وإحساسه الواقعي وقدرته على الربط بين التراث والحاضر ذلك إن الصفة التشابهية موجودة في الحالتين فالتركيبة التعبيرية متناقضة فلا يمكن أن يكون مادر يتصف بالجود والكرم وهي خصال ألفها الناس عن حاتم فتكون المفارقة عجيبة فباستعمالها في قالب تناقضي إنما هو نقلة حقيقية لصورة المستعمر . وتلوناته وادعاءاته المفبركة .

لذلك حاول الشاعر إن يضع المستعمر في صورته الحقيقة .

خاتمة:

ولا نختم إشارتنا هذه دون التطرق إلى أن عبد الله البر دوني قد وظف الكثير من شخصيات التاريخ العربي والإسلامي ولكن يبقى توظيفه هذا عند

مستويين – حسب رأي –الأول : هو الأعلى والأرقى من خلال الرمز التاريخي حين أحال على بعض القضايا التاريخية عبر بعض الشخصيات مثل حاتم ، مادر ، ها ، هاشم .... والثاني يبقى اقل شانا خلال من خلال البعد المألوف للتاريخ والماضي .

قائمة المصادر والمراجع:

[1] - جمال حضري، ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور ، ص334.
[2] -عبد الله الغّذامي، تشريح النص ،دار الطليعة ،بيروت ط1987،1 ،ص12،13.
[3] سورة الصف، الآية 10.
[4] - صبري إبراهيم السيد، علم الدلالة ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،د/ط ،1995 ص10.11.

[5] - أحمد مختار عمر ، علم الدلالة بعلم الكتب ،القاهرة ،ط3 1992، ص12./49

[6] - منقور عبد الجليل، علم الدلالة ،أصوله ومباحثه في التراث العربي ،منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق ،2001 ص77.
[7] -محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ،ط2 ،1986.
[8] -الديوان، ص 586.
[9]- محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث, الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/ط,1995, ص124.
[10] الديوان، ص 596.
[11] - محمد الهادي الطرابلسي ، تحاليل أسلوبية –دار الجنوب للنشر 79 نهج فلسطين -1002 تونس د/ط ،1992،ص84.
[12] -الديوان ، ص 588.
[13] -محمد الهادي ، الطرابلسي : خصائص الأسلوب في السوقيات ، منشورات الجامعة التونسية ، مجلد 1981،20.ص449.
[14] -الديوان ص 594.
[15] -فايز الداية ، جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)،دار الفكر المعاصر ،بيروت لبنان ،دار الفكر ،دمشق سوريا ،ط2 ،1996 ،ص153.
[16] -الديوان ، ص584.

[17] -ناصر لوحيشي ، الرمز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر ،دار الطليعة, قسنطينة, الجزائر ، ط1 2004 ، ص10.
[18] شكري عياد ، اتجاهات البحث الأسلوبي,ترجمة وإضافة،أصدقاء الكتاب, مصر, ط2, 1986,ص121.
[19] -غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث,دار الثقافة ودار العودة,لبنان، د/ط,1973 .ص 449.

[20] -عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر,المكتبة الاكاديمية,القاهرة,مصر,ط5، 1994 ص 172.

[21] - الديوان : ص 589.

[22] -عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر ، دار الرائد ، بيروت لبنان ، ط 2، 1984. ص22.

[23] - الديوان ، ص 590.